مـــــــادة (هـ ل ك) في القرآن الكريـــم
دراســـة في صورها البنائية

أ. م. د. ليث داود سلمان

جامعة البصرة - كلية الآداب – قسم اللغة العربية

مدخل

الأبنية فِي العربية مُقَسَّمَةٌ عَلى قِسمَينِ، وموزعةٌ فِي حقلين: هما الأفعال والأسماءُ، ولكل منهما نصيبٌ زاخرٌ، وحظٌ وافرٌ، فهي مُتَعَددة تِبَعاً لِتَعَدد المَواد اللغوية، وَمُتنوعة استناداً إِلَى ما يمكن أن تخرج به صور الاستعمال الحيَّة والهيآت التَّداولية بحسب ما يقتضيه المقام وطبيعة الاستعمال. ولا مزية لأحدهما على الآخر؛ لأنَّهما تابعان لاستدعاء المُتكلم وملابسات القول وشأن التَّخاطب. وَمَنْ أَراد أنْ يُمعِنَ النَّظَرَ فِي مَتنِ النُّصوص، لاستظهر له ميزة الوفرة فِي جانب، والانحسار فِي جانب آخر.

وعندما جال الباحث بنظرهِ بتروٍ وإمعان فِي مادة «هـ ل ك»، ظهر ابتداءً ربو الأبنيةِ الفعليةِ وفيضها على برض الأبنية الإسمية وثمدها، وزاده تأملاً تباين الهيآت الفعلية المُترشحة من الجذر اللغوي نفسه بين علو بعضها واكتظاظه مُشكلاً نَسَقاً قُرْآنِيَّاً فَرِيدَاً، وغيض الآخر.

الأبنيـــة الفعليـــة

الأبنية الفعلية – فِي صورتها المجملة – لا تخرج عما رسمه العلماء من الحقول الثلاثية «الماضي، والمضارع، والأمر»، وفي ضمن هذه الحقول تنبعج الأبنية وتترشح الصيغ.

وَلَكن لما كانت المادة قارة فِي ظرف اللغة، نال منها المُنتج فِي تَشكِيل متنه، وإنتاج نَصِّهِ ما تَتَوافَر عَليه الدَّواعي، وَتَتَوَسَّلُ إليه المعاني العوالي، فيتلبس بردائه، ويشتمل عَلَيهِ بِجلبَابِهِ. وَلَا عَجَبَ مِن التَّفريط فِي بعضها، والإخلال فِي استجلاب جُلّها، إذَا نظرنا إلى سمو القصد وعلو المطلب الَّذِي ترمي إليه البيانات الْقُرْآنية.

وَقَدْ كَانَ نَصيبُ فعل الأمرِ معدوماً البتة، واسم التَّفضيل وبعض صيغ المُشتقات مصروفاً.

أولاً: أبنية الفعل الماضي

- **المجرد**: استعمل من الماضي المجرد ما لازم صورة واحدة فِي بابه.

هلـــــك

قَالَ تَعَالَى

﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾	النساء ١٧٦
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾	الأنفال ٤٢
﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾	غافر ٣٤

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ الحاقة ٢٩

المبنى:

- فعل ماض مجرد على وزن فَعَلَ.
- استعمل للمفرد المذكر الغائب، وان كانت الآية الثانية تحتمل فِي ذاتها أن يدخل فيها غير المذكر لمكان من الموصولة.

ولكن يبقى الاطار العام استعماله للمذكر، وان سبب النزول – كما سيأتي – نص فِي ذلك، والآية الأخيرة لغير العاقل.

- المزيـــد

١. أهلـــك

قَالَ تَعَالَى

﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾ القصص ٧٨

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ النجم ٥٠

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ الملك ٢٨

المبنى:

- فعل ماض مزيد بحرف واحد، وهو الهمزة، على وزن أفعل.
- استعمل للمفرد المذكر الغائب، وهو، فِي المقام، الله عزّ وجلّ.

في الموردين المُتقدمين ثمة تشاكل فِي الجهات التصريفيّة الثلاثة: العدد والنوع والشخص، وتباين فِي مصداق الشخص وصورة المبنى، ولا ريب ينتج الاختلاف دلالة ويعطي معرفة.

٢. أهلكتُ

قَالَ تَعَالَى ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ البلد٦

المبنى:

- فعل ماض مزيد بحرف واحد، على زنة أفعل.
- استعمل للمفرد المذكر الحاضر، وإنْ كان المبنى فِي ذاته يحتمل دخول المؤنث، لولا قيود العلاقات، وانتظام الوحدات داخل السياق.

٣. أهلكتْ

قَالَ تَعَالَى

﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ آل عمران ١١٧

المبنى:

- فعل ماض مزيد بحرف على زنة أفعل.
- استعمل للمفرد المؤنث الغائب، لمكان التاء الساكنة، وهو فِي المقام لغير العاقل، يعود على الريح.

٤. أهلكتَ

قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ الأعراف ١٥٥

المبنى:

- فعل ماض مزيد بالهمزة على زنة أفعل.
- استعمل للمفرد المذكر المخاطب، لمكان التاء المفتوحة، والضمير فِي سياق الدعاء موجه إلى الله.

٥. أهلكنـــا

قال تعالى

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾	الأنعام ٦
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾	يونس ١٣
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾	الحجر ٤
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ...﴾	الإسراء ١٧
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴾	مريم ٧٤
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ..﴾	مريم ٩٨
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ.﴾	طه ١٢٨
﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا...﴾	الأنبياء ٩
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾	الشعراء ٢٠٨
﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ...﴾	القصص ٤٣
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾	القصص ٥٨
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾	يس ٣١.
﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾	ص ٣
﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾	الزخرف ٨
﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾	ق ٣٦
﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾	القمر ٥١
﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	الأعراف ٤
﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	الأنبياء ٦
﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾	الأنبياء ٩٥
﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾	الحج ٤٥
﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾	الأنعام ٦
﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾	الأنفال ٥٤
﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾	الكهف ٥٩
﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾	طه ١٣٤
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾	الشعراء ١٣٩
﴿أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾	الدخان ٣٧

﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ محمد ١٣

المبنى:

- فعل ماض مزيد بالهمزة على زنة أفعل.
- استعمل لجماعة الذكور الحاضرين، وصورة البناء تحتمل – من الأنظار التفسيرية – أن تكون للمفرد المذكر الحاضر. وبيانه: إنّ استعمال ضمير الجمع للمفرد فِي مورد الكبرياء والعظمة شائع فِي الخطابات التداولية ومما تقتضيه بلاغة المقام. أما إذَا حُمِلَ الضمير على ظاهره، فلا يراد به إلا مظاهر القدرة وتجليات الجبروت، الَّتِي لا تستقل فِي إرادتها، ولا تنفرد فِي خصوصيتها، وأمثال هذا كائن فِي نسبة التَّوفي إلى الله والى ملك الموت، وفي الخلق والإحياء والإماتة.

٦. أُهلكوا

قَالَ تَعَالَى

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ الحاقة ٥

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الحاقة ٦

المبنى:

- فعل ماض مبني للمجهول مزيد بالهمزة على وزن أفعل.
- استعمل لجماعة الذُّكور الغائبين. وإنّ كانت قرينة السياق تُدخِل معهم النِّساء والأطفال؛ لأنّ الإهلاك لا ينال ذكرانهم خالصة من دون الآخرين. وفي ذكر الرّجال دون سواهم إشارة إلى أنَّهم أسّ العقبة وأساس التَّمرد، والمزاول الرَّئيس فِي صرف الشَّرائح الأُخرى عن أريج الفطرة وعبق الاستقامة.

ثانياً: أبنية الفعل المضارع

المجرد:

لم يستعمل مضارع الفعل المجرد فِي الْقُرْآن الكريم، إلا مرة واحدة.

قَالَ تَعَالَى

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال ٤٢

المبنى:

- مضارع الثلاثي المجرد على وزن يفعِل.
- استعمل للمفرد المذكر الغائب. ولولا سياق الآيات وتتابع نزولها فِي معركة بدر – كما سيأتي – لرجحنا دخول غير المذكر، ومن الموصولة أمارة فِي ذلك.

نعم، يبقى هناك احتمال دخول المرأة بِعَدّها التابع المشجع للرجال فِي تلك المعركة، فهي ممن وقفوا على آيات الله الباهرات، ودلائله الواضحات آنذاك، ولا أحسب أن قوارع العذاب، ونوازل البلية تزحزح عنها بعد تلك البيّنة.

المزيـــد

لم يستعمل من الفعل المزيد إلا صورة واحدة، قد ركزّ عليها الْقُرْآن فِي جُلِّ خطاباته، وهي على النحو الآتي:

١ – تُهلِك

قال تعالى:

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾	الأعراف ١٥٥
﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾	الأعراف ١٧٣

المبنى:

- مضارع أُخذ من الماضي المزيد بالهمزة.
- استعمل للمفرد المخاطب المذكر. وهو فِي المقام خطاب الله عزّ وجلّ.

٢ – نُهلِك

قال تعالى:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾	الإسراء ١٦
﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾	المرسلات ١٦
﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾	إبراهيم ١٣

المبنى:

- مضارع أُخذ من الماضي المزيد بالهمزة.
- استعمل لجماعة الذكور الحاضرين. والْقُرْآن الكريم يجعل نون الجمع للمفرد فِي مقام التفخيم والتعظيم، ولا سيما فِي موارد تجلي القدرة الإلهية.

٣ – يُهلِك

قال تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾	البقرة ٢٠٥
﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ﴾	المائدة ١٧
﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾	الأعراف١٢٩
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى﴾	هود ١١٧
﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	الجاثية ٢٤

المبنى:

- مضارع زيدت الهمزة فِي ماضيه.
- استعمل للمفرد المذكر الغائب، وثمة تباين فِي نسبة الفعل، فالأولى أُسند الحدث فيها إلى الإنْسَان، والأخيرة قد أعطت تصوراً معرفياً فِي نسبة الحدث إلى الدهر، وإضفاء خصوصية الإدراك والقدرة عليه. وفي الآيات الأخرى جعل الحدث لله عز وجل.

٤ – يُهلِكون

قال تعالى:

﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	الأنعام ٢٦
﴿الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾	التوبة ٤٢

المبنى:

- مضارع زيدت الهمزة فِي ماضيه.
- استعمل لجماعة الذكور الغائبين، وهو فِي المقام إسناد الحدث إلى غير الله عز وجل.

٥ ـ يُهلك

قال تعالى:

﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الظّالِمُونَ﴾ **الأنعام ٤٧**

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ **الأحقاف ٣٥**

المبنى:

- مضارع مبني للمجهول، ماضيه ثلاثي مزيد بالهمزة. وهو يتفق فِي الصورة مع الثلاثي المجرد.
- استعمل للمفرد المذكر الغائب، ولكن ظهور المسند إليه بلفظة القوم أعطى تصوراً فِي الجمع، وكأن الحدث قام به فرد واحد على ما هم عليه من ائتلاف المعتقد واجتماع المحتد.

• الأبنيـــة الأسميَّـــة

لم يكن نصيب المبنى الاسمي وافراً، ولا حظه زاخراً، إذَا ما قورن مع نظيره الفعلي، وهذه سمة فنيّة، ومزيّة أسلوبية تتبع دواعي الاستعمال، وغايات التخاطب، وهي على النحو الاتي:

١ ـ هالك

قال تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلّا وَجْهَهُ﴾ **القصص ٨٨**

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ **يوسف ٨٥**

المبنى:

- استعمل على عمومه فِي الآية الأولى ما خلا وجه الله، وفي مورد الإنْسَان فِي الثانية.

٢ ـ مُهلِك

قال تعالى:

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ الأعراف١٦٤

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ القصص ٥٩

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ الأنعام ١٣١

﴿قَالُوا إِنّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ العنكبوت٣١

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ الإسراء ٥٨

﴿وَمَا كُنّا مُهْلِكِي الْقُرَى﴾ القصص ٥٩

المبنى:

- اسم فاعل مشتق من مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة، وهو يكون بإبدال حرف المضارعة ميماً

مضمومة وكسر ما قبل الآخر[١].

- استعمل المبنى مفرداً فِي مورد الذات الإلهية فِي الآيات الثلاث الأولى، وقد جاء مجموعاً جمع سلامة فِي الآيات الَّتِي بعدها، وقد سوغ الوصف جمعها، واستعملت فِي مورد الملائكة فِي آية سورة العنكبوت صراحة، فِي حين جاء الجمع فِي مقام التعظيم وإظهار قدرة الله عز وجل، ويمكن أنْ يكون الجمع للاستعمال المظهري.

٤ – مُهلَكون

قَالَ تَعَالَى

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ المؤمنون٤٨

المبنى:

- اسم مفعول مشتق من مصدر الثلاثي المبني للمجهول المزيد بالهمزة، وهو كائن بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر[٢]. وقد سوغ الوصف جمعه جمع سلامة.
- استعمل لجماعة الذكور المنكرين المكذّبين.

٥ – مَهلِك

قَالَ تَعَالَى

﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف ٥٩

﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ النمل ٤٩

تحتمل صيغة مَفعِل• فِي العربية بذاتها وبمعزل عن السياق أوجهاً:

أ – أنْ تكون مصدراً ميمياً من الثلاثي بشرط أنْ تكسر عين المضارع من الأجوف، أو يعتل فاؤه بالواو[٣].

ب – أن يكون اسماً للزمان أو اسماً للمكانِ، بشرط أن تكسر عين المضارع منه، ويأتي مجرداً صحيح اللام[٤].

جـ - أنْ يكون مصدراً جاء على غير قياس كالمرجع وغيره[٥].

د – أنْ يكون اسماً كالمسجد[٦].

هـ - أنْ يكون وصفاً كمنكب بمعنى (عريف)[٧].

و – أنْ يكون اسماً للزمان والمكان على غير قياس كالمشرق والمغرب[٨].

إنَّ الاحتمالات المتعددة للمبنى يمكن أنْ يضيقها السياق، وتقيدها القرائن فيؤدي المبنى وظيفة صرفية واحدة، كما يمكن أنْ تبقى على إطلاقها، إذَا لم تكن القرائن جلية فِي القراءة التفسيرية، وهذا ما وجدناه عندما استشرفنا كتب التفسير، والكتابات الأخرى الَّتِي تجعل النص الْقُرْآني ميداناً لعملها، فقد اتضح أنَّ ثَمَّةَ تعدداً فِي توجيه المبنى استناداً إلى السياق وظهور القرائن ونصيتها.

فهو اسم مطلقاً عند الفراء حيث يقول: «فمن أراد الاسم مما «يفعل» منه مكسور العين كسر مفعلاً»[٩]. وهو اسم زمان على تقدير: لوقت هلاكهم[١٠]، واحتمل إلى جنبه اسم مكان على تقدير: لوقت هلاكهم أو مكان هلاكهم[١١].

وأجاز بعضهم حمله على المصدر شذوذاً كالمرجع[١٢]. وجُعل، عند بعض، مصدراً على القياس بدعوى أنّه من باب ضرب وعلم ومنح[١٣].

وثمة من أشار إلى مصدريته من دون أنْ يحمله على قياس أو شذوذ[١٤]. والى جانب الأقوال المتقدمة نجد حديثاً عن الحدث فِي تضاعيف خطاب جملة من المفسرين، معطين للمبنى، إشارة، قوة الحدث فِي الاستعمال على شأنية المبنى للزمان والمكان[١٥].

والى تخوم هذه الأقوال تَعِنُّ أمام عين الناظر اكتظاظ الآراء وغزارتها، وانصرافها إلى توجيه القراءات الْقُرْآنية للمبنى نفسه على اختلاف تشكله الحركي، وازورَارها عن المبنى الْقُرْآني، محاولة منهم فِي عرض المعنى الْقُرْآني من خلال الصورة الأخرى للمبنى الَّذِي تقدمه قراءات القرّاء.

نعم، إنه عمل حصيف لو تتابع مغبّة توجيه المبنى الْقُرْآني، وإعطاء المعنى من السياق والقرائن. لكن هذا لم يكن. ومن العجيب أنّ المبنى «مَهلِك» هو الرسم الموجود ما بين الدفتين، ومع ذلك يعرض عنه بعض المفسرين إلى توجيه صيغة «مُهلِك» أو «مُهلَك» أو «مَهلَك» فِي تفصيل وتحديد للمعنى الَّذِي يتلاءم مع كل مبنى ومن ذلك:

- **قول النيسابوري:** «لِمَهْلِكِهِمْ»: لإهلاكهم، مصدر، كقوله: « مُدْخَلَ صِدْقٍ». ويجوز «مَهْلَكَهِم» اسمُ زمان الهلاك، أي جعلنا لوقت إهلاكهم موعداَ، ولكن المصدر أولى لتقدم «أهلكناهم»، والفعل يقتضي المصدر وجوداً وحصولاً، وهو المفعول المطلق، ويقتضي الزَّمان والمكان محلاً وظرفاً،... واذا كان «لمُهْلَك» اسم زمان «الهلاك» لا يجوز «الوعد» اسم زمان»[١٦].
- **قول الزجاج** في الآية: «وفيها ثلاثة أوجه: لِمُهْلَكهم،، وتأويل المُهْلَك على ضربين: على المصدر، وعلى الوقت، معنى المصدر – لإهلاكهم، ومعنى الوقت لوقت إهلاكهم وكل فعل ماض على افعل فالمصدر منه مُفعَل، أو إفعال، واسم الزمان منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان... ويجوز أنْ يقرأ «مَهْلِكِهِمْ» على أنْ يكون مهلك اسماً للزمان على معنى هلك يهلِك... فاذا أردت المصدر قلت مَهلَك بفتح اللام»[١٧].
- **قول الشنقيطي:** «قرئ بضم الميم وفتح اللام وهو محتمل المصدرية لإهلاكهم موعداً وأنْ يكون اسم زمان أي لوقت إهلاكهم..» [١٨].

وهذه الطريقة فِي التحليل تكشف عن علو كعب القراءة على الْقُرْآن. ومزاولة التعاطي معها ينبيء عن اتجاه المفسر وأفقه المعرفي. فهذا العالم الجليل أبو حيان يقول فِي التفسير: وضربنا لإهلاكهم[١٩]. وثمة فرق بين الإهلاك والمهلك، إنّ الأول مصدر الثلاثي المزيد بالهمزة، والثاني على فرض مصدريته يؤخذ من الثلاثي المجرد. ولم يكتف بهذا. بل أخذ يعرض قراءات الجمهور ويوجهها. ومن الغريب أنّه يذكر فِي ضمن القراءات قراءة فتح الميم وكسر اللام جاعلاً إياها القراءة الأخيرة لديه، وكأنها غير راجحة، أو إنها لا تصل إلى قراءات الجمهور!.

وكذا فعل الطاهر بن عاشور عندما استهلّ كلامه بالحديث عن مُهَلك بقوله: مصدر ميمي من أهلك أي جعلنا لإهلاكنا إياهم وقتاً معيناً[٢٠]... مبيناً أنّها من قراءات الجمهور، ولم يبالِ بقراءةِ حفص الَّتِي هي من سنخ النَّص فيجعلها عمدة لحديثه ومداراً لتفسيره.

إنَّ القراءات، وان تنزلنا، وقلنا إنّها من النَّبي «2»، لا يُمكن عَدُّها من الْقُرْآن؛ لأنّها اختلاف ألفاظ الوحي، وليس الْقُرْآن مما تتغير فيه الصُّور والأشكال. وحسن من جعل القراءات الْقُرْآنية ميداناً لاشتغاله وموضوعاً

لممارساته فِي توجيهها الإعرابي وأثرها المعنوي، وإحصائها العددي، وتعددها الصوري.

لذلك لم يجعل الباحث لها حظاً من الدِّراسة لاختلاف المسلكين.

والَّذِي يَراهُ البَاحث من تلبس الصيغة بالمادة اللغوية فِي ضوء قرائن السِّياق -على ما سيأتي- أنّه اسم للزمان؛ لأنَّ مُضارعه مكسورُ العين، واحتمال المصدريةِ واردٌ من الأنظار التفسيرية الَّتِي تقرب المعنى إلى ذهن المُتَلَقِّي ولا تعبأ كثيراً بما عليه أهل الفن من تحديد الموارد القياسية، والإشارة إلى الأمثلة السماعية.

والمبنى فِي الآية الثانية يدور فِي فلك أوجه ثلاثة هي:

اسم الزمان، واسم المكان، والمصدر على اختلاف فِي المبتنى، فقد جعله بعض اسماً للمكان[٢١]، واقتضى القياس عند آخر المكان والزَّمان[٢٢]. وهناك من قال بمكانه وجوز معه المصدر[٢٣]، ومن قال بعكس ذلك[٢٤].

واحتمل آخرون الأوجه الثلاثة[٢٥]. وثمة من أشار من خلال جهده التفسيري إلى المعنى المصدري من دون أنْ يقرن المعنى بالمبنى الصرفي كما فعل غيره[٢٦]. وأبعد أحدهم الزمان والمكان وقال بمصدريته على القياس[٢٧].

والى جانب هذه الآراء نجد من احتمل المباني الثلاثة أو بعضها. ولكن لم تكن هذه الاحتمالات معالجة صريحة منهم لصورة المبنى الْقُرْآني، بل هي تفريع واقتضاء للقراءات الَّتِي أبْتِدئ بها فِي التفسير كقراءة ضم الميم وفتحها وكسر اللام وفتحها[٢٨]. وفي جهدهم هذا تعمية للقارئ، الَّذِي يروم المبنى الْقُرْآني، وتضييع الطالب.

والَّذِي يراه الباحث فِي المبنى إنه اسم للمكان، وقرائن السياق تؤكده – على ما سيأتي – وفي احتمال اسم الزمان أوفر حظاً واربى نصيباً من المصدر؛ لان القياس قاطع بعدمه، متنجّز بغيره.

٦ – التهلُكة

قَالَ تَعَالَى

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥

المبنى بصورته المتقدمة لم يرد عن العرب فِي مجال استعمالي، ولا فِي مورد تداولي سوى ما أشار إليه سيبويه فِي حديثه عن التاء الَّتِي تلحق الأسماء بقوله: «وأمّا «التَّاء» فتلحق أولا فيكون الحرف على «تَفْعُلٍ» فِي الأسماء نحو: تَنصُبٍ وتَتْفُلٍ، والتضُّرة، والتُسرة»[٢٩] ما فتح باب السجال فِي المبنى، فثمة من ينكر النظائر من هذا المبنى[٣٠] وفي قباله من وجد قول سيبويه متكأ يأوي إليه فِي تعدد صور المبنى[٣١].

مع أنّ المنكرين لا يريدون بحديثهم سوى المصدر، وسيبويه لم يصرح، إنّ المبنيين المتقدمين من المصادر، وإنّهما على غرار مصدر التهلكة، أو انه ذكره تعزيزاً لورود سنخ لهذا المصدر فِي كلام العرب.

وهناك محاولة فريدة لجعل المصدر على بابه «تفعِلة»، وقد قلبت الكسرة، إذ يقول: «ويجوز أنْ يقال: اصلها التهلِكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على إنّها مصدر من هلك، فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجُوارُ فِي الجوار»[٣٢]. ولكن لم يُجعل لهذه المحاولة محمدة، ولم يسدل عليها منقبة من أهل الفن، فقد جُوبه جوازه بالرد والإنكار[٣٣].

وللطاهر بن عاشور جرأة فِي الخروج عن السجال الدائر حول المبنى، إذ جعله اسماً للمصدر لا مصدراً، وأضفى عليه معنى الهلاك بحجة أن المبنى لا يجري على سمت المصادر المعهودة[٣٤].

ولكن مباينة المصدر لاسم المصدر● فِي المفهوم مما سطرته أنامل المتأخرين عن أكابر المتقدمين كسيبويه

والمبرد وابن السَّراج وغيرهم، إذ لم يكن لديهم تمايز فِي المعنى، فسيبويه جعله من المصادر الجارية على غير فعلها[٣٥]، والمبرد عدّه من قبيل حمل مصدر فعل على فعل آخر، إذَا اتفقا فِي المعنى[٣٦]، وهذا يعني إنّ تحرير المصطلح لم يكن فيصلاً فِي حل النزاع، ولا حاسماً فِي درء الشقاق، ففاء القول إلى النَّدرة والشذوذ.

ومما تقدم يتبين:

إنَّ الاستعمال الْقُرْآني للمادة استدعى من الأبنية الفعلية الماضي المجرد في أربعة موارد. أسند الحدث فِي ثلاثة منها إلى الإنْسَان، والرابع فيما يتعلق به من أمور الاعتبار.

واستعمل مضارعه فِي مورد الإنْسَان لا غير، وفي ذلك مزية أسلوبية تكمن فِي جعل الحدث وعاءً له. وفي لزومه وعدم احتياجه إلى منفعل خارجي دلالة على أن النسبة قصرية، قد أوعبت ذات الإنْسَان، ولم تتعدَ إلى غيره، لأنّه مدار البيانات الْقُرْآنية، وثمرة مقاصده.

ومن الطبيعي أن لا يتعلق هذا الحدث بالله عز وجل؛ لأنه كائن للماهيات والأعيان الناقصة، والله عز وجل لفرط كماله، لا ماهية له.

وعلى خلاف المجرد نجد نمواً فِي الماضي المزيد بالهمزة مع اختلاف فِي توارد المقولات الصرفية. وظهور همزة التعدية مع الفعل أكسبت النسق مزية أسلوبية، وألبسته دلالة معرفية، فالحدث الواقع منتج للذات، لا متلبس بها، كما فِي الصورة المجردة، والإنتاج يقتضي الموضوع والمحل. وبمعنى إن الحدث ترتبط به هويتان: الأولى باعثة له، والثانية مستودعة لديه، وقد كان الله عز وجل المصداق الأوفر حظاً فِي الاستعمال الْقُرْآني للهوية الأولى، والإنْسَان، سواء أكان بوجوده الجمعي المتمثل بالأمم والأقوام والقرون أم بوجوده الفردي، منفعل بالحدث الإلهي.

وقد خرج النسق عن رتابته، فاختلفت الهويتان فِي موردين:

الأول كائن بين الإنْسَان، الَّتِي تشير إليهِ آية سورة البلد، والمال الكثير. والثاني متحقق فِي مظاهر التكوين بين الريح والحرث فِي آية سورة آل عمران.

والنسبة والإيقاع فِي جميع الموارد تنبئ عن كمال قدرة الفاعل ما عدا آية سورة البلد، الَّتِي تكشف المذمة والتوبيخ؛ لأنّ الفعل فِي تسلطه لم يقع فِي موضعه.

ولم يكن مضارع المزيد بالهمزة فِي تعدده على شاكلة قسيمه فِي الفيض والوفرة، والذات الإلهية فيه هي المنتجة للفعل، والإنْسَان محله، قد وقع عليه الحدث فِي نسقٍ مهيمنٍ سوى آيتين:

الأولى فيها إخبار عن تسلط الفعل الإنْسَاني الذَّميم على الحرث والنَّسل، والثَّانية فيها إعطاء للدَّهر جلباب القُدرة وإضفاء الهيمنة فِي إيقاع الحدث على الإنْسَان فِي ضمن مقولة المشركين. وفي هذا الأخبار تصوير لقبح الموقف، ومذمة لخطل المعتقد وقذع المعتنق.

ولم تظهر الصور الفعلية الأخرى عن الماضي والمضارع فضلاً عن الأمر الَّتِي تزخر بها كتب المعجمات، ولا الأبنية الافتراضية الَّتِي يقتضيها القياس مما يذكره علماء الفن فِي التصريف. ولعل السر فِي ذلك أن مادة الحدث تدخل فِي البيانات الْقُرْآنية من الزاوية العقدية، وظهورها فِي أنساق بنائية ماضية؛ لكي يكون الجو المهيمن فِي الإخبار القدرة التكوينية، وفي الاعتبار سوء الفعل والاختيار من الأمم والأقوام.

واستمرار الحدث فِي الأنساق المضارعة ينبئ عن المشاكلة فِي السننية والمماثلة فِي التجارب البشرية، ولا ريب أن القدرة تلحق كل من يكِنّ فِي مظنة الحدث، ويستتر فِي مظلة الفعل.

وقد استدعِي من الأبنية الاسمية القليل، فقد ظهر اسم الفاعل من المجرد مرتين، ومن المزيد ست مرات،

ولم يظهر اسم المفعول إلا من المزيد فِي مورد واحد، وكذا بناء مَفعِل وتفعُلة. ولعل السر فِي ذلك أن الإخبار بالحوادث والوقائع المستندة إلى مرابعها فِي أزمان متباعدة ومتتابعة أبلغ فِي التأثير، وأنهج فِي التحذير. والحدث كلما وقع وتجدد – وهو مقترن بهويتين – نال فِي الإنذار طيباً وفي الارتداع تهذيباً، ويكفي للحدث المنصرم والمتجدد ما يفعله فِي الأذهان من صور شاخصة بالحياة لأمم وأقوام عاشوا فِي رغد النعمة، وبطر العيش، فأنساهم الشيطان أنفسهم وأضل طريقهم، فغدوا فِي مهوى الردى ومحل النقمة والعذاب.

الهوامش

١. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٢٨٠، والمقتضب ١/٧٤، ٧٥، ١٠٨، والأصول فِي النحو ١/١٢٣، وشرح جمل الزجاجي ٢/٢٤٨، وشرح الرضي ٣/٤١٣ – ٤١٤، وشرح التسهيل ٣/٧٠ - ٧١، وأوضح المسالك ٢/٢٦٧، وشرح ابن عقيل ٢/١٥٠، وشرح التصريح على التوضيح ٢/٤٢، وحاشية الصبان ٢/٤٩١، وحاشية الخضري ٢/٨٠، وأبنية الصرف فِي كتاب سيبويه ١٨٣ – ١٨٤، وعمدة الصرف ٩٤، وشذا العرف ١٣٢، والصرف الوافي ١١٥ – ١١٦، والاشتقاق ١٦٩ – ١٧٠، والمغني الجديد فِي علم الصرف ٢٥٠، والصرف الواضح ١٥٠، الصرف ١٥٨، والواضح فِي علم الصرف ١٧٦.

٢. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٢٨٠، ٢٨٢، والمقتضب ١/٧٤، وشرح جمل الزجاجي ٢/٢٤٧، وشرح الرضي ٣/٤٢٧- ٤٢٨، وأوضح المسالك ٢/٢٦٨، وشرح ابن عقيل ٢/١٥٠، وشرح التصريح ٢/٢٢، وهمع الهوامع ٣/٣٢٧، وحاشية الصبان ٢/٤٩١، وحاشية الخضري ٢/٨٠، وأبنية الصرف فِي كتاب سيبويه ١٩٤، وعمدة الصرف ٩٦، والصرف الوافي ١٣١ – ١٣٢، والاشتقاق ١٧٣، والتعريف بالتصريف ٢٤٦، والمغني الجديد ٢٦٦ – ٢٦٧، والواضح فِي علم الصرف ١٨٠، وشذا العرف ١٣٦، والصرف ١٦٢، والصرف الواضح ١٦٥.

- عول الباحث على المثبت فِي المصحف من رسم الحركات، ولم يشر إلى ما ذكره القراء من صور أخرى للمبنى؛ لأنه يعتقد ان ثمة فرقاً بين الْقُرْآن والقراءات.

٣. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٩٢، وشرح الشافية ١/١١٨، وأبنية الصرف فِي كتاب سيبويه ١٥٣، والاشتقاق ١٦٢، والصرف الوافي ٩٥، ودلالة اللواصق التصريفية فِي اللغة العربية ١٩٣، والمغني الجديد ٢٢٦، والتعريف بالتصريف ٢٣٥، وشذا العرف ١٢٩، والصرف الواضح ١٣٩، والصرف ١٣٨، والواضح فِي علم الصرف ١٩٥، وتصريف الأسماء والأفعال ١٤٦، والمغني فِي علم الصرف ٢٢٦.

٤. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٨٧ – ٨٨، وشرح المفصل ٣/١٥٤، وشرح الشافية ١/١٢٦، وهمع الهوامع ٣/٣٢٦، وأبنية الصرف فِي كتاب سيبويه ١٩٧، والاشتقاق ١٩٥، ومعاني الأبنية فِي العربية ٤١، والمغني فِي علم الصرف ٣٢، وتصريف الأسماء والأفعال ١٧٢- ١٧٣، والواضح فِي علم الصرف ١٩٢، والصرف ١٦٧، والصرف الواضح ٢٠٢ -٢٠٣، وشذا العرف ١٥٤، والتعريف بالتصريف ٢٦١، والمغني الجديد فِي علم الصرف ٣٠٣.

٥. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٨٨، ٩٠، والأفعال ١٧ – ١٨، وشرح الشافية ١١٨ – ١٢٠، والمزهر ٢/٨٢، والاشتقاق ١٦٢ – ١٦٣، والصرف الوافي ٩٦، والمغني الجديد فِي علم الصرف ٢٢٥، وشذا العرف ١٢٩، والصرف ١٣٨، والمغني فِي علم الصرف ١٩٥، وتصريف الأسماء والأفعال ١٤٦، والصرف الواضح ١٤١، والواضح فِي علم الصرف ١٦٤.

٦. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٩٢، ٢٧٢، والأصول فِي النحو ٣/١٤٣، والأفعال ١٨، وشرح المفصل ٣/١٥٤، وشرح الشافية ١/١٢٧، وحاشية الصبان ٢/٤٨٦، والمزهر ٢/٨٢، ومعاني الأبنية فِي العربية ٤٢ – ٤٣، ومعجم الأوزان الصرفية ٢٥٢.

٧. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٢٧٢، ومعجم الأوزان الصرفية ٢٥٣.

٨. يُنْظَرُ: الكتاب ٤/٩٠، ومعاني الْقُرْآن للفراء ٢/١٤٩، وشرح المفصل ٣/١٥٣ – ١٥٤، وشرح الشافية ١/١٢٦، وشرح المراح فِي التصريف ١٣٢، وهمع الهوامع ٣/٣٢٦، وأبنية الصرف فِي كتاب سيبويه ١٩٨، والاشتقاق ١٦٦، والمغني فِي علم الصرف ٢٣٣، وتصريف الأسماء والأفعال ١٧٢، والواضح فِي علم الصرف ١٩٣، والصرف ١٦٨، والصرف الواضح ٢٠٥، وشذا العرف ١٥٥، والتعريف بالتصريف ٢٦٢ – ٢٦٣، والمغني الجديد فِي علم الصرف ٣٠٤.

٩. معاني الْقُرْآن ٢ /١٤٨.

١٠. يُنْظَرُ: معاني الْقُرْآن وإعرابه ٣ /٢٤٣، والتبيان ٧ /٥٥، وتفسير السمعاني ٢ /٥٦٤ والكشاف ٣/٧٣، والجامع لأحكام الْقُرْآن ١٣ /٣١٥، وغرائب الْقُرْآن ٤ /٤٤٠، واللباب ١٢/٥١٩، وروح المعاني ١٥/٤٠٥، وأضواء البيان ٢/٤١٥، والتحرير والتنوير ١٥ /٩٧، والميزان ١٣ /٣٣١، ودراسات لأسلوب الْقُرْآن ٦ /٢٨٣.

١١. يُنْظَرُ: اللباب ١٢ /٥١٩.

١٢. يُنْظَرُ: تفسير البيضاوي ٣ /٢٨٦، والدر المصون ٧ /٥١٦ – ٥١٧، واللباب ١٢ /٥١٩، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٦ /١٩٩، وكنز الدقائق ٨ /٨٩، والتفسير المظهري ٤ /٣٣٩، وروح المعاني ١٥ /٤٠٥.

١٣. يُنْظَرُ: حاشية الشهاب ١٩٩/٦، وروح المعاني ٤٠٥/١٥.

١٤. يُنْظَرُ: البحر المحيط ١٩٦/٧.

١٥. يُنْظَرُ: تأويلات أهل السنة ١٧٤/٤، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٨٥/٤، وتفسير أبي السعود ٢٣١/٥، وروح البيان ٣١١/٥، والبحر المديد ١٧٤/٤، والتفسير الكاشف ١٤١/٥.

١٦. إيجاز البيان عن معاني الْقُرْآن ٥٢٥/٢.

١٧. معاني الْقُرْآن وإعرابه ٢٤٣/٣.

١٨. أضواء البيان ٤١٥/٢.

١٩. يُنْظَرُ: البحر المحيط ١٩٥/٧ – ١٩٦.

٢٠. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ٢٧٥/١٩.

٢١. يُنْظَرُ: التبيان ٧٩/٨، وروح البيان ٤٥٧/٦.

٢٢. يُنْظَرُ: البحر المحيط ٢٥١/٨، ودراسات لأسلوب الْقُرْآن ٢٨٤/٦.

٢٣. يُنْظَرُ: الجامع لأحكام الْقُرْآن ١٨٤/١٦.

٢٤. يُنْظَرُ: حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي ٤١١/١٤.

٢٥. يُنْظَرُ: تفسير البيضاوي ١٦٣/٤، وتفسير أبي السعود ٢٩٠/٦، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي ٤١١/١٤، والبحر المديد ٢٢٢/٥، والتفسير المظهري ٣٤٣/٥، وروح المعاني ١١/٢٠، والتحرير والتنوير ٢٧٥/١٩.

٢٦. يُنْظَرُ: اللباب ١٨٠/١٥، ونظم الدرر ٤٣٢/٥، والميزان ٣٧٦/١٥.

٢٧. يُنْظَرُ: حاشية القونوي ٤١١/١٤.

٢٨. يُنْظَرُ: الكشاف ٤١٥/٣، والتفسير الكبير ٥٦١/٨، وأضواء البيان ٢٠٦/٤.

٢٩. الكتاب ٢٧٠/٤.

٣٠. يُنْظَرُ: ليس في كلام العرب ١٢٤، والصحاح ٤٠١/٤، والكشاف ٢١٦/١، ومجمع البيان ٥٥/٢، والتفسير الكبير ٢٩٤/٢، ولسان العرب ١٢٩/١٥، والبحر المحيط ٢٣٢/٢، والدر المصون ٣١٢/٢، واللباب ٣٥٣/٣، وتاج العروس ٦٧٠/١٣، وروح المعاني ١٦٩/٣٠، والميزان ٦٥/٢.

٣١. يُنْظَرُ: الكشاف ٢١٦/١، والتفسير الكبير ٢٩٤/٢، وتفسير البيضاوي ١٢٩/١، والبحر المحيط ٢٣٢/٢، والدر المصون ٣١٢/٢، واللباب ٣٥٣/٣، وحاشية الشهاب ١٧٠/٣، وحاشية القونوي ٨٤/٥.

٣٢. الكشاف ٢١٦/١.

٣٣. يُنْظَرُ: البحر المحيط ٢٣١/٢ – ٢٣٢، والدر المصون ٣١١/٢ – ٣١٢.

٣٤. يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ٢٠٩/٢ – ٢١٠.

- اطلق سيبويه مفهوم اسم المصدر على فجار ويسار، ولكنه لا يريد ما نحن بصدده. انظر ٢٧٤/٣ – ٢٧٥.

٣٥. يُنْظَرُ: الكتاب ٨١/٤ – ٨٢، ٤٢/٤، والأصول ١٣٤/٣.

٣٦. يُنْظَرُ: المقتضب ٧٣/١ – ٧٤.